

كيف نواجه العدو ؟

نحن نواجه أزمة اقتصادية طاحنة ، وغلاءً وحشيًا مجنونًا لا يريد أن يقف عند حد ، وينذر بعواقب وخيمة لا يجوز أن نقف أمام نُذُرِهَا مكتوفي الأيدي . وقد يطول الانتظار حتى تظهر نتائج الجهد المبذول في تنفيذ الخطة حتى يشعر بها المواطن المطحون في حياته اليومية . في مثل هذه الظروف يجب أن تتفجر في الأنفس شعلة التضامن الاجتماعي ، ويعرف كل فرد واجبه في حدود إمكاناته ، كل فرد وكل جماعة وكل مؤسسة على جميع المستويات الرسمية والشعبية .

أول ما يجب أن نختفى من حياتنا الإسراف والسفه ، إذ لا يمكن الجمع بين أزمة طاحنة وإسراف سفيه ، يجب أن نتخذ من الترشيد أسلوبًا جديدًا في حياتنا ، وهو أسلوب يعد فضيلة في الظروف العادية ولكنه ضرورة حتمية في الظروف الاستثنائية .

نحن في حاجة دائمة إلى ترشيد في الإنجاب ، والطاقة ، والمياه ، والغذاء ، وخاصة ما يتعلق بالكماليات والمظاهر والتقاليد البالية .

وليس من العدل أن نوجه هذه الدعوة إلى الجميع على قدم المساواة ، ولكن لُكُلَّ على قَدَرِ قدراته . يجب أن توجه أولاً إلى الدولة لتكون قدوة ومثالاً ، ولئلا تنفق مليماً بلا ضرورة وفي غير مصلحة عامة . وتوجه إلى

القادرين الذين ينفقون بلا حساب وبدون مراعاة للظروف والمشاعر أو تدبّر لما يحدثه سلوكهم في إطلاق العنان لوحش الغلاء ليفتك بإخوانهم من ذوى الدخل المحدود . وتوجه بعد ذلك إلى كل مَنْ يملك فرصة للانضباط بدون أن يكلف نفسه مالا تطيقه . على كل فرد أن يعيد النظر في حياته ، ويحاور ضميره ، ويستمد القوة من ذاته ، ويتذكر أنه عضو في جماعة لا حياة لها إلا بالتآلف والتضامن والإنسانية .

١٩٨٨ / ٩ / ٨

الحلم والواقع

حلمى الجميل الذى لا أتخلى عنه أن أرى شعبنا يستقيظ ، أن يستيقظ شعبنا فيسترد وعيه وإرادته ، وأن يتملك قوته وسلطانه ، وأن يصبح مصدر السلطات ، وحاكم الحُكام ، ومحرك الأحداث ، فيسود القانون ، وتتقدس حقوق الإنسان ، ويتلاشى الانحراف ، وينطلق الإنتاج والإبداع ، ليذهب عهد الأوصياء إلى الجحيم ، فقد حل محله عهد ديمقراطية وحرية ، كانوا أوصياء مزيفين . كانوا هم أنفسهم فى أشد حاجة إلى الوصاية والأوصياء .

جربنا - قبل وبعد الثورة - الوصى العميل ، والوصى الوطنى الثائر ، والوصى السياسى اللبق ، فاختلفت النوايا ، وتنوعت الأهداف ، ولكن حققت الهزيمة والخطيئة على الجميع ، لأن الوصاية الرشيدة لا تكون إلا للشعوب . فى عهود الوصايا المتتابعة - قبل وبعد الثورة - استشرى الاستعمار ، وضاع الاستقلال ، ومُنيّا بالهزائم والفساد ، وغرقنا فى بحار القروض ، وفَتَكَ الغلاء والإرهاب بالكرامة والأمان . ولولا التبعات من يقظة الشعب فرقت ومضاتها السماء المظلمة على فترات من التاريخ ما بُعِثْنَا من المقابر ، ولا تصدينا للمقادير .

انهض يا شعبنا العزيز واستيقظ . اسحقْ عادتك السيئة فى تعليق

سوء حفظك بنظام أو رجل . لا تُنكر نصيبك من المسؤولية مهما جل شأن
الخصم أو بطشه . أنت مسئول عن ضياع التجربة الديمقراطية الماضية .
أنت مسئول عن فشل التجربة الاشتراكية . لولا صبرك ما تهادى ظالم أو
تمادى طاغية . واجه الحقيقة . واجه الحقيقة واعترف واندم وتُب ،
واسترد حقك الشرعى ، والتمس إليه الوسيلة بكل سبيل ، والله معك .

١٩٨٨ / ٩ / ٢٩

كلمة بين الصخب والغضب

إليك صورة عامة لحياتنا اليوم . . شعب يقف صابراً أمام وحش الغلاء ، وترهقه أزمة شبابه ، ودولة تنفذ خطة بعيدة المدى بجهد غير منكور ، ولكنه دون الكفاية بالقياس إلى ضخامة المشكلات ، وفي وسط ينوء بالتسيب واللامبالاة ، وبين هذا وذاك تنطلق من حين لآخر شرارات غاضبة تسفر عن ضحايا من الشعب ورجال الأمن ، متحرشة بالاستقرار ، ومنقضة برعونة على وحدة الأمة المقدسة .

لابد من كلمة للجماعات الإسلامية ، ولابد من كلمة إلى الدولة .

للجماعات أقول : إنه لم يَحُلْ عصر من عصور الإسلام من فِرَق متناقضة ، تعايش بعضها في ظل الخلاف المشروع ، وتقاتل البعض الآخر في حروب أهلية أنهكت الأمة ونالت من وحدتها وقوتها . في عصرنا يُعالج الخلاف الفكري في جو الديمقراطية بالمناقشة والدعوة ، ولا يلجأ فيه إلى القوة إلا عاجزاً أو مستبداً أو إرهابيً ، وما أنتم في النهاية إلا فرقة إسلامية لها فكرها ورؤيتها ، ولستم الوحيدين في الساحة ، فثمة غيركم مسلمون لهم فكرهم ورؤيتهم .

من حق كل فريق أن يعيش تحت مظلة فكره مؤمناً آمناً ، وأن يمارس حياته بما يُرضى ضميره ويبرىء ذمته . أمّا تجاوز ذلك إلى استعمال القوة

فى فرض الرأى فهو سلوك خارج على القانون ، مُهَدِّدٌ للأمن ، ونذير سوء لاستقرار المجتمع ووحدته الأساسية ، ولا مفر من أن يُقابله المجتمع بالدفاع عن نفسه وسيادته بدون هوادة ، وإلاَّ فَقَدَ جدارته ومضمونه ، فليكن جهادكم مشروعا ، واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم من رجال الأمن .

وللدولة أقول : إنه لابد من مضاعفة الجهد فى البناء ، ومطاردة الفساد ، وإحقاق الحق والعدل ، وسيادة القانون ، وإنَّ ملاذنا الأخير فى استكمال الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، فدعوا الأحزاب تتكون كيفما تشاء ، وأطلقوا الحرية للأحزاب القائمة لتعمل على استقطاب الشباب وتربيتهم ، وبث الوعي المضىء فى قلوبهم ، دعوا الشعب يتحرك ويستعيد صحته وعافيته ليعلو صوته على جميع الأصوات .

إنَّ النُّذُرَ تتطاير من حولنا حاملة رسائل الكدر ، ولن يعنى السكون إلاَّ الاستسلام لمستقبل مجهول فى غير صالحنا .

١٩٨٨ / ١٠ / ١٣

شرفاء لكن مجرمون

لا يخلو مجتمع من الجريمة ، ولكن كلمتى لن تجرى حول المجرمين العاديين ، مثل معتادى الإجرام والمتورطين فى الجريمة لأسباب شتى ، وذوى العاهات العقلية ، والإرهابيين .

هنالك نوع آخر ، لا يختلف فى مظهره عن المواطن الصالح ، فهو يمارس مهنة مشروعة ، وقد يحظى بالجاه والنفوذ ، ولكنه يرتكب من الغش والفساد والانحراف فى عمله ما يتسبب فى الأذى أو يسوق إلى الهلاك ، وهو يقدم على انحرافه بدافع الطمع أو الإهمال ، وبضمير ميت يدل على أنه دسيسة خبيثة فى المجتمع وليس عضواً عاملاً فيه .

وقد عرفنا من تلك الجرائم ألواناً شكلت فى زماننا ما يمكن أن نعتبره ظاهرة ، أسوق إليك أمثلة على سبيل التذكير ليس إلأً . منها الأغذية الفاسدة التى طُرحت للتداول مع علم أصحابها بفسادها . ومنها الأغذية التى همَّ أصحابها بإدخالها إلى البلاد وهم على تمام العلم بتسرب الإشعاع القاتل إليها . ومنها ما نُشر عن كابات مستهلكة ظلت تعمل بعد انقضاء عمرها الافتراضى ، فأحدثت المئات من الحرائق والضحايا ، وغير ذلك مما تراه الأعين أحياناً فى الطرقات .

ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أن يوجد مجرمون متخفون تحت أقنعة الشرفاء ،

وأن انحرافهم يتجاوز حدود الفساد الجارى إلى الشروع فى القتل أو القتل نفسه ، وأن المواطن الذى نطالب له بحقوق الإنسان محروم لديهم من حقوق الحيوان والنبات .

والأمر لا يحتمل الصبر حتى يطرح التهذيب والتربية والحضارة ثمراتها الإنسانية ، فلا مناص من الرقابة والمتابعة واتخاذ الإجراءات الصارمة للقضاء على الجريمة والمجرمين ذوى الأئنة الشريفة ، وهم شر أنوع المجرمين .

١٩٨٨ / ١١ / ١٠

نحو مجتمع لا يقوم على العنف

هنالك حوادث عنف تستحق الحزن وتثير الامتعاض . وهنالك تحاملات قاسية لم نعهدها إلا أيام الاستعمار أو الاستبداد . وإذا كنا مازلنا نعم عمومًا بالاستقرار والطمأنينة فإنما يرجع الفضل في ذلك إلى صولة جهاز الأمن ، وما فُطِرَ عليه شعبنا من اعتدال ورحمة . ونحن نريد للاستقرار أن يدوم ويرسخ بفضل المناخ النقي والعدل الشامل والخير السايغ والمبادئ السامية ، لكى نقضى على العنف ، بل لكى نبني نهضة جديدة بنا ، وهو الأهم ، وهو الهدف .

إنَّ علينا أن نستثمر جميع طاقاتنا في تنفيذ التنمية الشاملة ، خطة بعد خطة ، وأن ننظر إلى الحياة نظرة جدية قادرة على البذل والتضحية وضبط النفس والشهوات ، والإضراب الكامل عن كافة ألوان السفه والتبذير .

وأن نطارد الفساد مطاردة لا تقف عند حد ، ولا تعرف المواربة أو الهوادة أو التمهّل ، لنستعيد الثقة في أنفسنا وفي دولتنا وفي الحياة .

وأن نولى الإصلاح السياسى حقه من العناية والاهتمام ، ولنبدأ فوراً في إلغاء القوانين المقيدة لتكوين الأحزاب كخطوة أولى أو عاجلة لنقضى على أسباب الغربة المخيمة على فئات من الشعب بدون وجه حق .

وأن نستجيب بدون تردد - وبالرضا الواجب - لمطالب الهيئة القضائية

لدعم استقلال العدالة من أى شائبة ، وإعلاء سيادة القانون بحق
لِيُظَلَّ الحاكم والمحكوم ، البريء والمتهم ، فنخطو خطوة حاسمة نحو
عصرنا المنير .

وأن نضاعف الجهد لبث روح ديننا بين الناشئة عن طريق التربية ،
وبين الناس جميعًا عن طريق وسائل الإعلام ، ليستقر في أعماق النفوس
كطاقة هائلة للتقوى والمعاملة السامية والعمل والعلم والتسامح واحترام
حقوق الإنسان .

بعد ذلك يحق لنا أن نتصدى لمن تسول له نفسه الاستهانة بالقانون بما
يقطع دابره ويستأصل شأفته .

١٩٨٩ / ١ / ١٩

دعوة للدفاع عن النفس

لو وَازَنَّا بين المشكلات من ناحية والجهد المبذول لحلها من ناحية أخرى نجد أن كفة المشكلات مازالت الراجحة ، وقبل أن يدهمنا المجهول ونحن مُنْهَمِكُونَ في حياتنا اليومية ، علينا أن نفكر في مواجهة دفاعية شاملة لاتخاذ موقف ، والإشارة إليه إشارة واضحة . ونحن - كأفراد وأحزاب وهيئات ومؤسسات - لا نقصر في التفكير في حاضرتنا وغدنا ، فما أكثر المقالات والبحوث والكتب والوصايا ، ولكن ذلك جميعه يدور في برج مستقبل عن الواقع والتنفيذ ، كأنما هو جهد من أجل راحة الضمير أو تزجية الفراغ ، ويبقى الركود من حولنا أو شيء من التحرك البطيء الذى لا يتناسب مع ضخامة المشكلات وتربص الولايات .

علينا كأمة أن تجتمع لتُحدِّد موقفها من تحديات عصرها . أن تجتمع أحزابها المُعلَّنة وغير المعلنة ، وأهل الخبرة المُؤرَّعون بين المجالس القومية والنقابات المهنية والعمالية والجامعات . أن يجتمعوا لدراسة المشكلات واقتراح الحلول . قد يتفقون على رأى فى أمر أو أكثر ، وقد يصلون إلى أغلبية فى أمور ، وقد يختلفون فيما عدا ذلك ، ولكننا سنهتدى من خلال الاجتماع إلى قرارات على سبيل الإجماع فلا نتردد فى تنفيذها ، وهو حكم يسرى على الأغلبية ، ويشجع الحكومة على إصدار قراراتها ، وحتى ما

نختلف فيه سيتضح لنا منه ما يخفى على العين العابرة . علينا أن نتحرك حتى لا نبدو لعين التاريخ كقوم غارقين فى غفلة الدهول انتظاراً لما يجيء به الغيب . وكيف يركن قوم للغفلة وحياتهم تموج بمشكلات مثل الديون ، والنمو السكانى ، والبطالة ، وأزمة الإنتاج ، والفساد ، والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والوحدة الوطنية والعصر ؟!

١٩٨٩ / ٤ / ١٢

بين الدفاع والإصلاح

هانحن نعقد العزم على التصدى بحزم لجرائم المخدرات والاعتصاب، ونتشدد في سنّ القوانين الرادعة العادلة حماية للكرامة البشرية وسلامة الوطن . وما من شك في أن جميع انحرافات الفساد التي تعوق نهضتنا تستحق مثل ذلك الحزم ، فتهديب الأموال ، والنصب على البنوك ، والاتجار في العملة ، ورفع الأسعار المفتعل ، وسوء معاملة الشعب ، واستغلال النفوذ ، والمحابة الطبقية ، كل أولئك تشكل وضعاً غير إنساني ، وتحدث ضرراً بالغاً للملايين ، وتعوق نهضتنا عن الانطلاق ، وتدهمنا وتدهم أبناءنا بالإحباط والسلبية ، وتحرض البعض على التطرف ، كما تغرى البعض الآخر بالانحراف . ومع ذلك فحذار أن نتوهم أن العقوبة هي نهاية الجهد والاجتهاد أو غاية الختام . العقوبة وسيلة لا غنى عنها لخط الدفاع الأولي ، وهي تجيء في تقدير الإصلاح في المستوى الأدنى ، وما هي إلا الوسيلة السهلة المتاحة إذا تأخرت الوسائل الناجعة أو تأخرنا عنها .

العلاج الحقيقي يوجد في شبكة معقدة متكاملة من الإنجازات : في الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة ، والأخلاق ، وهو ما نسميه بحق التنمية الشاملة . هي المشروع القومي لمن يبحثون عن مشروع قومي ، وأى مشروع يفوق في أهميته القضاء على التخلف والانطلاق نحو

العصر. وكلما تقدمنا خطوة في الإنجاز تقدمنا تلقائياً في خدمة الوطن والشباب والعقل والذوق ، وتغير منظور الحياة أمامنا ، وارتفع موقعنا فيها ، فتجری الدماء في العروق ، والآمال في القلوب .

والعقوبات الحاسمة ضرورة ولا شك ، ولكن الشباب في حاجة إلى مَنْ يَنَاجِيهِ في أزماته الطاحنة ، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو يخوض ظلمات الليل البهيم . أهلاً بالعقوبات الحاسمة ، ولتكن فرصة نُقُومُ فيها المَعُوجَّ من شئوننا ، ونظهر أنفسنا من الخبائث .

١٩٨٩ / ٥ / ٤

الوعظ في هذا العصر

رسالة الوعظ هي أن تعرفنا بالدين للعمل للآخرة والدنيا معًا ، أن نعبد الله عبادة صحيحة ، وأن نتعامل مع الناس وأطوار الحياة بما يرضيه ، ومهمته الأولى يسيرة ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة ، الأولى يسيرة لثباتها ووضوح معالمها ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة لأنها لا يجوز عليها الكسل أو الغفلة ، لأن الدنيا تجري بدون توقف مع الزمن ، وتتلقى كل يوم - وربما كان ساعة - جديدًا في المعرفة والعمل ، وما يترتب على ذلك من تجديد في المعاملات والسلوك والعلاقات التي يتبادلها البشر ، سواء في الوطن الواحد أو على مدى الكرة الأرضية . ويتطلب ذلك من الواعظ يقظة مستمرة ، ووعيًا بعصره ، وإطلاعًا متواصلًا على ما يحدث في الحضارات ، وما يضطرم به جوف الحاضر أو يتمخض عنه وجه المستقبل .

ويجب أن يوضع ذلك في الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية للوعاظ ، وبخاصة ما يتعلق بالحضارة وروح العصر ومتطلباته ، وسير البشرية من الثورة الزراعية إلى الصناعية ، وانتقالها رويدًا رويدًا إلى عصر المعلومات ، وكيف أنها بفضل وسائل الاتصال الحديثة تتجه نحو نوع من التوحد ، وأنه لن يوقف موجاتها المتدفقة قرار أو مصادرة أو رقابة أو

غير ذلك من وسائل الهروب . فالسؤال المطروح على الوعظ والوعاظ هو: كيف نعيش مسلمين اليوم وغداً في هذا العالم المهيمن الذى لا مهرب منه ؟

من هنا تبنى أهمية الاجتهاد للتصدي والمواجهة ، ولكى يشارك المسلم فى الحياة المتجددة بدون حرج أو شعور بالغربة ، أو محاولات يائسة للهروب إلى كهف الماضى ، فإما أن نجتهد وإما أن نقترض . ولذلك يجب أن ينتمى الوعاظ إلى هيئة عليا من العلماء المجتهدين ، لعلها أخطر الهيئات الدينية فى عصرنا ، يوكل إليها رسم الحدود لحياة المسلم فى العصر الحديث . جميل أن نتذكر القول بأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ، وقد آن لنا أن نثبت ذلك بالفعل والعقل والإيمان .

١٩٨٩ / ٦ / ١

البناءون والمخربون

فى حياتنا أصدقاء وأعداء ، أولئك يبنون وهؤلاء يخربون ، ربما انتصر المخربون فترة من الزمن ، ولكن العاقبة فى النهاية للبناءين . ولعله من المفيد أن نستعرض ونتذكر ، فَمَنْ هم البناءون ومن هم المخربون ؟

أذكر فى البناءين :

١ - الرئيس الذى لا ينى عن الحث على العمل والتحذير من الفوضى ، يطوف بمواقع العمل فى الداخل ، وينتقل بين الشرق والغرب فى الخارج سعياً فى سبيل الخير والسلام .

٢ - قلة جادة مجتهدة ، عاملة فى صمت ، تنفذ الخطة بأمانة وخبرة ، تكافح مشكلات الحاضر وتتطلع إلى الغد ، وتبشر بمستقبل أفضل .

٣ - معارضة صادقة وطنية لا تضمن برأى ولا تخشى فى الحق لومة لائم ، وتصبر على مكاره كثيرة وظروف عسيرة .

٤ - جماعة مخلصه من أهل الرأى والخبرة فى المجالس القومية ، تفكر وتفكر ، وتصدر التوصيات تلو التوصيات ، وتتابع مهمة كل كبيرة وصغيرة .

وأذكر فى المخربين :

- ١ - المهملين والمتسييين واللامبالين .
 - ٢ - ناهى المعونات ومهرى الأموال .
 - ٣ - المتهرين من الضرائب .
 - ٤ - تجار الموت من مهرى المخدرات ومروجيها .
 - ٥ - المتربحين من معاناة الشعب والمتاجرين بلقمته .
 - ٦ - المضللين المزايدين بأجل الكلمات لخدمة أخط النوايا .
 - ٧ - العابثين بحقوق الإنسان وقيمه وآماله .
- أما البتاءون فيستحقون تقدير الأمة . وأما المخربون فيستحقون الموت .

١٩٨٩ / ٦ / ٨

الإعلام والجريمة

ما من مجتمع إلا وله نصيبه من الجرائم والانحرافات . لعلها تقل كلما أحرز المجتمع مزيدًا من التوازن الروحي والمادى فاتسم بالحضارة والصحة النفسية ، وتزيد كلما اختل ميزانه وتكالت عليه عوامل الجهل والفقر والتخلف ، فسرى في أوصاله التحلل واليأس واللامبالاة . لذلك فإن كفاح الجريمة حقًا ما هو إلا باب من أبواب كفاح التأخر بصفة عامة ، وإعلان الحرب الحضارية على الجهل والمستوى المتدنى من المعيشة والقهر والعبث بحقوق الإنسان والتطاول على قداسة القانون والقيم . تُرى ما الموقف المثالي لوسائل الإعلام من الجرائم والانحرافات التى لا تبرا منها فئة أو طبقة ؟

لا يمكن أن تتجاهلها إيثارًا للسلامة وحسن السمعة ، وإلاّ خانت رسالة من أهم رسائلها ، وهى إمداد الناس بالمعلومات عمّا يقع فى بلادهم والعالم ، لتستخلص العبرة منه وتبحث على مقاومته واقتلاعه من جذوره .

ولا يمكن أن تعالجها بروح الإثارة والتشويق والتهويل لما يعنيه ذلك من المغالاة فى تصويرها ، وما يصاحبه حتمًا من إشاعة الفرع واليأس ، بل وما قد يغرى المترددين والمرضى النفسيين بالتورط فى الجريمة .

لم يبق إلا أن تنشر الأخبار بجدية وموضوعية ، وتراجع فى التعليق عليها أهل الخبرة من رجال الأمن وعلماء النفس والاجتماع . وعلى رجل الإعلام أن يضع نُصب عينيه الهدف الحقيقى من رسالته فى هذا الجانب المأساوى من الحياة ، وهو التعريف والتثقيف والتقويم والدفاع عن حياة المجتمع وقيمه ، بعيدًا كل البعد عن الإثارة أو التجارة .

١٩٨٩ / ٩ / ١٤